

سُورَةُ الشَّعَرَاءِ

قَالَ تَجَالَى: ﴿نَشَأُ نُزِّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾

[الشَّعَرَاءُ: ٤]

القرءات: قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب «نُزِّلَ» وقرأ الباقون «نُزِّلَ».

التوجيه: قرئ «نُزِّلَ» بتشديد الزاي التي تدل على التدرج أو التكثير، وقرئ «نزل» بتخفيف الزاي، والقراءتان متكاملتان تدلان على أن الله إذا أراد إخضاع الرقاب لشعره، فعل سواء بآية واحدة قاطعة، وهذا ما تدل عليه قراءة «نزل» بتخفيف الزاي أو بآيات كثيرة أو آيات تنزل بتدرج أو حتى بآية واحدة ولكن لا تنزل دفعة واحدة، وهذا ما تدل عليه قراءة «نُزِّلَ» بتشديد الزاي، والله أعلم.

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ [الشَّعَرَاءُ: ١٣]

القرءات: «ويضيق» و «ينطلق» قرأ يعقوب بنصب القاف فيهما، والباقون برفعهما.

التوجيه: قال الرازي: (المسألة الثانية) قرئ يضيق وينطلق، بالرفع، لأنهما معطوفان على خبر إن، وبالنصب لعطفهما على صلة أن، والمعنى: أخاف أن يكذبون، وأخاف أن يضيق صدري، وأخاف أن لا ينطلق لساني، والفرق أن الرفع يفيد ثلاث علل في طلب إرسال هارون، والنصب يفيد علة واحدة، وهو الخوف من هذه الأمور الثلاثة.

وقال ابن عاشور: وقرأ الجمهور «يضيق» و «لا ينطلق» مرفوعين عطفاً على (أخاف)، ولذلك حققه بحرف التأكيد، لأنه أيقن بحصول ذلك، لأنه جبلي عند تلقي التكذيب ولأن أمانة الرسالة والحرص على تنفيذ مراد الله يحدث ذلك في نفسه لا محالة؛ وإذا قد كان انحباس لسانه يقيناً عنده، كان فعلاً «يضيق، ولا ينطلق» معطوفين على ما هو محقق عنده؛ وهو حصول الخوف من التكذيب ولم يكونا معطوفين على «يكذبون» المخوف منه

المتوقع على أن كونه محقق الحصول يجعله أخرى، وقرأ يعقوب «ويضيق، ولا ينطلق»، بنصب الفعلين عطفاً على «يكذبون»، أي يتوقع أن يضيق صدره ولا ينطلق لسانه؛ قيل كانت بموسى حبسة في لسانه؛ إذا تكلم. وليس القصد من هذا الكلام التنصل من الاضطلاع بهذا التكليف العظيم، ولكن القصد تمهيد ما فرعه عليه من طلب تشريك أخيه هارون معه، لأنه أقدر منه على الاستدلال والخطابة، كما قال في الآية الأخرى ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ﴾ [النحل: ٣٤].

وقال الزمخشري: ويضيق وينطلق بالرفع، لأنهما معطوفان على خبر إن [أي أخاف]، وبالنصب لعطفهما على صلة أن [أي يكذبون] والفرق بينهما في المعنى: أن الرفع يفيد أن فيه ثلاث علل: خوف التكذيب، وضيق الصدر، وامتناع انطلاق اللسان، والنصب على أن خوفه متعلق بهذه الثلاثة، فإن قلت: في النصب تعليق الخوف، بالأمور الثلاثة وفي جملتها نفي انطلاق اللسان، وحقيقة الخوف، إنما هي غم يلحق الإنسان لأمر سيّقع، وذلك كان واقعاً، فكيف جاز تعليق الخوف به؟ قلت: قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحبسة في اللسان الزائدة على ما كان به على أن تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته، وقيل بقيت منها بقية يسيرة، فإن قلت: اعتذارك هذا يردّه الرفع، لأن المعنى: إني خائف ضيق الصدر غير منطلق اللسان: قلت: يجوز أن يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها، ويجوز أن يريد القدر اليسير الذي بقي به، ويجوز أن لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاع الذين أوتوا سلطة الألسنة، وبسطة المقال، وهارون كان بتلك الصفة؛ فأراد أن يقرن به ويدل عليه قوله تعالى ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا وَلِي﴾ [النحل: ٣٤].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ﴾ [الشع: ٥٢]

القصص: «أن اسر» قرأها بوصل الهمزة: نافع وابن كثير وأبو جعفر ويلزم منه كسر النون وصلاً، وقرأ الباقون «أن أسر» بقطع الهمزة وإسكان النون.

التوجيه: قال ابن عاشور: وقرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر «أسر» بهمزة وصل أمر من «سرى» ويكسر نون «أن»، لأجل التقاء الساكنين، وقرأ الباقون -بهمزة قطع وسكون نون- «أن»، وفعلًا سرى وأسرى متحdan.

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَازِرُونَ﴾ [الشعراء: ٥٦]

القرءات: «حاذرون» قرأ ابن ذكوان وعاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر، وهشام، بخلف عنه، بألف بعد الحاء، وقرأ الباقون، بحذف الألف، وهو الوجه الثاني لهشام.

التوجيه: قال الرازي: أمّا الذي وصف فرعون به قومه، فهو قوله «وإنّا لجميع حاذرون»، ففيه ثلاث قراءات حذرون وحاذرون، وحادرون بدال غير المعجمة. واعلم أن الصفة إذا كانت جارية على الفعل وهي اسم الفاعل واسم المفعول، كالضارب والمضروب أفادت الحدوث، وإذا لم تك كذلك وهي المشبهة أفادت الثبوت. فمن قرأ «حذرون» ذهب إلى أنّ قوم من عادتنا الحذر واستعمال الحزم، ومن قرأ «حاذرون»، فكأنه ذهب إلى معنى: إنّنا قوم ما عهدنا أن نحذر إلا عصرنا هذا.

وقال الألويسي: وقرأ جمع من السبعة وغيرهم «حذرون» بغير ألف، وفُرّق بين حاذر، بالألف وحذر بدونها بأن الأول- اسم فاعل يفيد التجدد والحدوث والثاني- صفة مشبهة تفيد الثبات، وقريب منه ما روي عن الفراء والكسائي أنّ الحذر من كان الحذر في خلقتها، فهو متيقظ منتبه وقال أبو عبيدة: هما بمعنى واحد وذهب سيبويه إلى أن حذراً يكون للمبالغة وأنه يعمل كما يعمل حاذر، فينصب المفعول به، وأنشد

حذر أموراً لا تصير وآمن ما ليس منجيه من الأقدار

وقد نُوزِعَ في ذلك بما هو مذكور في كتب النحو. وعن ابن عباس، وابن جبير، والضحاك، وغيرهم أن الحاذر التام السلاح. وفسروا ما في الآية بذلك، وكأنه بمعنى صاحب حذر، وهي آلة الحرب سميت بذلك مجازاً، وحمل على ذلك قوله تعالى ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾.

وقال ابن عاشور و «حذرون» قرأه الجمهور بدون ألف بعد الحاء، فهو جمع حذر وهو من أمثلة المبالغة عند سيبويه والمحققين، وقرأه حمزة وعاصم والكسائي وابن ذكوان، عن ابن عامر وخلف بألف بعد الحاء جمع «حاذر» بصيغة اسم الفاعل. والمعنى: أن الحذر من شيمته وعادته، فكذاك يجب أن تكون الأمة معه في ذلك، أي إننا من عادتنا التيقظ للحوادث والحذر مما عسى أن يكون لها من سيئ العواقب.

قَالَ تَجَالِي: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]

القرءات: قرأ حفص «مَعِيَ رَبِّي» وقرأ الباقون «مَعِي رَبِّي».

التوجيه: قرئ «معي» بإسكان الياء على الأصل في ياء الإضافة وقرئ بفتحها تخفيفاً ولعل وجه قراءة الإسكان للدلالة على مزيد اختصاص موسى ﷺ بمعية الله فالإسكان يفيد مزيد التصاق للياء، وقراءة الفتح تفيد أن معية الله لموسى لا تنفي معيته لغيره من المؤمنين، وإن كانت معيته لموسى ﷺ أكمل وأتم.

قَالَ تَجَالِي: ﴿قَالُوا أَنْزِلْ لَنَا آيَةً﴾ [الشعراء: ١١١]

القرءات: «واتبعك» قرأ يعقوب «واتباعك» بهمزة قطع مفتوحة وسكون التاء، وألف بعد الباء ورفع العين، وقرأ الباقون «واتبعك»، بوصل الهمزة وتشديد التاء مفتوحة وحذف الألف وفتح العين.

المعنى: قال الرازي: قال صاحب الكشاف: وقرئ «واتباعك الأزدلون» جمع تابع كشاهد وأشهد، أو جمع تبع، كبطل وأبطال والواو للحال، وحققها أن يضم بعدها قد في «واتبعك»، وقال الألوسي: وقيل جمع تبع كشریف وأشراف.

التوجيه: قال ابن عاشور: وقرئ «أتباعك» على أنه جمع تابع، والمعنى أنهم أتباعه لا غيرهم، فالصيغة صيغة قصر.

قلت: قراءة «أتباعك» تفيد - نظراً لتعريف المبتدأ والخبر - القصر، أي لا أتباع لك غيرهم، ولا تفيد قراءة «اتبعتك» القصر، بل تدل على أنهم يخبرون نوحاً بأنه لو كان قد صار معروفاً بمصاحبة ومجالسة الفقراء، وأنهم من جملة أتباعه، لما آمنوا، فكيف ولا أتباع له غيرهم؟! فكل قراءة على هذا تفيد معنى ليس في الأخرى.

قَالَ النَّجَّالِيُّ: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشَّعَرَاءُ: ١٣٧]

القراءات: «خلق الأولين» قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمة وخلف العاشر، بضم الخاء واللام، وقرأ الباقر بفتح الخاء وإسكان اللام.

التوجيه: قال الرازي: قرئ «خلق» بفتح الخاء، وإسكان اللام وقرئ بضم الخاء واللام، فمن قرأ خلق الأولين بالفتح، فمعناه أن ما جئت به اختلاق الأولين وتخصصهم كما قالوا: «أساطير الأولين»، أو ما خلقنا هذا إلا خلق القرون الخالية نحيا كحياتهم ونموت كمماتهم، ولا بعث ولا حساب. ومن قرأ خُلُقُ بضميتين، فمعناه ما هذا الذي نحن عليه من الدين، إلا خلق الأولين، وعادتهم كانوا به يدينون ونحن بهم مقتدون، أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت، إلا عادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر، أو ما هذا الذي جئت به من الكذب إلا عادة الأولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه.

وقال ابن جرير: وأولى القراءتين في ذلك بالصواب: قراءة من قرأ «إن هذا إلا خُلُقُ الأولين» بضم الخاء واللام، بمعنى: إن هذا إلا عادة الأولين ودينهم كما قال ابن عباس، لأنهم إنما عوتبوا على البنيان الذي كانوا يتخذونه ويطشهم بالناس بطش الجبابة، وقلة شكرهم ربهم فيما أنعم عليهم؛ فأجابوا نبيهم، بأنهم يفعلون ما يفعلون من ذلك احتذاءً منهم سُنَّةً من قبلهم من الأمم واقتفاءً منهم آثارهم، فقالوا ما هذا الذي نفعله

إِلَّا خُلِقَ الْأَوَّلِينَ، يَعْنُونَ بِالْخُلُقِ عَادَةُ الْأَوَّلِينَ؛ وَيَزِيدُ ذَلِكَ بَيَانًا وَتَصْحِيحًا لِمَا اخْتَرْنَا مِنَ الْقِرَاءَةِ وَالتَّأْوِيلِ قَوْلَهُمْ: «وَمَا نَحْنُ بِمَعْذِبِينَ» لِأَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا لَا يَقْرُونَ بِأَنَّهُمْ رَبًّا يَقْدِرُ عَلَى تَعْذِيبِهِمْ مَا قَالُوا: «وَمَا نَحْنُ بِمَعْذِبِينَ»، بَلْ كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ هَذَا الَّذِي جِئْنَا بِهِ يَا هُودَ إِلَّا خُلِقَ الْأَوَّلِينَ وَمَا لَنَا مِنْ مَعَذِبٍ يَعْذِبُنَا، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا مُقْرِنِينَ بِالصَّانِعِ وَيَعْبُدُونَ الْآلِهَةَ عَلَى نَحْوِ مَا كَانَ مُشْرِكُو الْعَرَبِ يَعْبُدُونَهَا وَيَقُولُونَ «إِنَّمَا تَقْرِنُنَا إِلَى اللَّهِ زَلْفَى»؛ فَلِذَلِكَ قَالُوا لَهُودَ وَهُمْ مُنْكَرُونَ نُبُوته ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ ثُمَّ قَالُوا لَهُ: مَا هَذَا الَّذِي نَفْعَلُهُ، إِلَّا عَادَةُ مِنْ قَبْلُنَا، وَأَخْلَاقُهُمْ وَمَا اللَّهُ مَعْذِبُنَا عَلَيْهِ كَمَا أَخْبَرَنَا تَعَالَى ذَكَرَهُ عَنِ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ قَبْلُنَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ لِرُسُلِهِمْ ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾.

وَقَالَ ابْنُ عَاشُورَ: وَقَوْلُهُ «خُلِقَ الْأَوَّلِينَ» قَرَأَهُ نَافِعُ وَابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامِرٍ وَحَمْزَةُ وَعَاصِمٌ، وَخَلْفَ بَضْمِ الْخَاءِ وَضَمَّ اللَّامِ وَقَرَأَهُ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَالْكَسَائِيُّ وَأَبُو جَعْفَرٍ وَيَعْقُوبُ، بَفَتْحِ الْخَاءِ وَسُكُونِ اللَّامِ. فَعَلِيَ قِرَاءَةُ الْفَرِيقِ الْأَوَّلِ «خُلِقَ»، بَضْمَتَيْنِ، فَهُوَ السَّجِيَّةُ الْمُتَمَكِّنَةُ فِي النَّفْسِ، الْبَاعِثَةُ عَلَى عَمَلٍ يَنَاسِبُهَا مِنْ خَيْرٍ، أَوْ شَرٍّ، وَقَدْ فَسَّرَ بِالْقَوَى النَّفْسِيَّةِ وَهُوَ تَفْسِيرٌ قَاصِرٌ، فَيَشْمَلُ طِبَاعَ الْخَيْرِ وَطِبَاعَ الشَّرِّ وَلِذَلِكَ لَا يَعْرِفُ أَحَدُ النُّوعَيْنِ مِنَ اللَّفْظِ إِلَّا بِقَيْدِ يَضْمٍ إِلَيْهِ، فَيَقَالُ: خُلِقَ حَسَنٌ وَيَقَالُ فِي ضَدِّهِ: سَوَاءٌ خُلِقَ أَوْ خُلِقَ ذَمِيمٌ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وَفِي الْحَدِيثِ، وَخَالَقَ النَّاسَ بِخُلُقِ حَسَنٍ، فَإِذَا أَطْلَقَ عَنِ التَّقْيِيدِ انْصَرَفَ إِلَى الْخُلُقِ الْحَسَنِ. وَمَعْنَى الْآيَةِ عَلَى هَذَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُحْكِي عَنْهُمْ أَرَادُوا مَدْحًا لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَحْوَالِ الَّتِي أَصْرُوا عَلَى عَدَمِ تَغْيِيرِهَا، فَيَكُونُ أَرَادُوا أَنَّهَا خُلِقَ أَسْلَافُهُمْ وَأَسَوْتُهُمْ، فَلَا يَقْبَلُوا فِيهِ عَدْلًا وَلَا مَلَامًا كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْ أَمْثَلِهِمْ ﴿تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾، فَالْإِشَارَةُ تَنْصَرِفُ إِلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الَّذِي نَهَاهُمْ عَنْهُ رُسُولُهُمْ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونُوا أَرَادُوا مَا يَدْعُوا إِلَيْهِ رُسُولُهُمْ:

أَيُّ مَا هُوَ إِلَّا مِنْ خُلِقَ أَنْاسٍ قَبْلَهُ، أَيُّ مِنْ عَقَائِدِهِمْ وَمَا رَاضُوا عَلَيْهِ أَنْفُسَهُمْ وَأَنَّهُ عِبَرُ عَلَيْهَا وَانْتَحَلَهَا، أَيُّ مَا هُوَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا قَالَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، وَالْإِشَارَةُ إِلَى مَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، وَأَمَّا عَلَى قِرَاءَةِ الْفَرِيقِ الثَّانِي، فَالْخُلُقُ بِفَتْحِ الْخَاءِ وَسُكُونِ اللَّامِ مُصَدَّرٌ هُوَ الْإِنْشَاءُ وَالتَّكْوِينُ، وَالْخُلُقُ أَيْضًا مُصَدَّرٌ خُلِقَ إِذَا كَذَبَ فِي خَبَرِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَتَخْلُقُونَ أَفْكًَا﴾ وَتَقُولُ الْعَرَبُ حَدَّثَنَا فَلَانٌ بِأَحَادِيثِ الْخُلُقِ وَهِيَ الْخَرَافَاتُ الْمَفْتَعَلَةُ وَيُقَالُ لَهُ: اخْتِلَاقٌ بِصِيغَةِ الْافْتِعَالِ الدَّالَّةُ عَلَى التَّكْلِيفِ وَالْإِخْتِرَاعِ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقٌ﴾، وَذَلِكَ أَنَّ الْكَاذِبَ يَخْلُقُ خَبْرًا لَمْ يَقْعُ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَنَّ مَا تَزْعُمُ مِنَ الرِّسَالَةِ عَنْ اللَّهِ كَذِبٌ وَمَا تَجَبَّرْنَا مِنَ الْبَعْثِ اخْتِلَاقٌ، فَالْإِشَارَةُ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ صَالِحٌ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَنَّ حَيَاتِنَا، كَحَيَاةِ الْأَوَّلِينَ نَحْيَا ثُمَّ نَمُوتُ، فَالْكَلَامُ عَلَى التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنِ التَّكْذِيبِ، بِالْبَعْثِ الَّذِي حَذَرَهُمْ جَزَاءَهُ فِي قَوْلِهِ ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يَقُولُونَ: كَمَا مَاتَ الْأَوَّلُونَ وَلَمْ يَبْعَثْ أَحَدٌ مِنْهُمْ قَطُّ، فَكَذَلِكَ نَحْيَا نَحْنُ ثُمَّ نَمُوتُ وَلَا نَبْعَثُ وَهَذَا كَقَوْلِ الْمُشْرِكِينَ ﴿قَاتُوا بِثَابِتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، فَالْإِشَارَةُ فِي قَوْلِهِ ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ إِلَى الْخُلُقِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْمُسْتَشْنَى، فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ مَعَانٍ وَاحِدٍ مِنْهَا مَدْحٌ وَاثْنَانِ ذَمٌّ وَوَاحِدٌ دَعَاءٌ. وَجُمْلَةٌ ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ عَلَى الْمَعْنَى الْأَوَّلِ، وَالثَّانِي، وَالثَّلَاثُ عَطْفٌ عَلَى جُمْلَةٍ ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ عَطْفٌ مَغَايِرٌ. وَعَلَى الْمَعْنَى الرَّابِعِ عَطْفٌ تَفْسِيرٌ لِقَوْلِهِمْ ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ تَصْرِيحًا بَعْدَ الْكُنَايَةِ. وَالْقَصْرُ قَصْرُ إِضَافِيٍّ عَلَى الْمَعْنَى كُلِّهَا. وَلَا شَكَّ أَنَّ قَوْمَ صَالِحٍ نَطَقُوا، بَلَّغْتَهُمْ جَمَلًا كَثِيرًا تَنْحَلُّ إِلَى هَذِهِ الْمَعْنَى، فَجَمَعَهَا الْقُرْآنُ فِي قَوْلِهِ ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ بِاحْتِمَالِ اسْمِ الْإِشَارَةِ وَاخْتِلَافِ النُّطْقِ بِكَلِمَةِ «خُلُقٍ»، فَلِلَّهِ إِيجَازٌ وَإِعْجَازَةٌ.

قَالَ الْعَالِي: ﴿وَتَنَحُّتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَوْمًا فَرِهَيْنَ﴾ [الشُّعَرَاءُ: ١٤٩].

القرءات: قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب «فرهين»، وقرأ الباقر «فارهين».

التوجيه: قال ابن جرير: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن قراءة من قرأها «فارِهَيْنَ» وقراءة من قرأ «فَرِهَيْنَ» قراءتان معروفتان مستفيضتان القراءة بكل واحدة منهما في علماء القراء، فبأيتها قرأ القارئ، فمصيب، ومعنى قراءة من قرأ «فارِهَيْنَ» حاذقين بنحتها متخيرين لمواضع نحتها كيسين من الفراهة، ومعنى قراءة من قرأ «فرهين»: مرحين أشرين وقد يجوز أن يكون معنى، فاره وفره واحداً، فيكون فاره مبنياً على بنائه وأصله من فَعَلَ يَقَعْلُ، ويكون فره صفة كما يقال فلان حاذق بهذا الأمر وحَذَقَ.

قلت: قد اختار ابن عاشور: أن الكلمتين بمعنى الحذق والكياسة، والله أعلم.

قَالَ الْعَالِي: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشُّعَرَاءُ: ١٧٦]

القرءات: «الأيكة» قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر «ليكة»، بلام مفتوحة من غير همز قبلها، ولا بعدها ونصب التاء، وقرأ الباقر «الأيكة» بإسكان اللام وهمزة وصل قبلها وهمزة قطع مفتوحة بعدها وجر التاء.

التوجيه: قال الألويسي: قال أبو عبيدة: وجدنا في بعض كتب التفسير أن «ليكة» اسم للقريّة و «الأيكة» البلاد كلها كمكة وبكة، ورأيتها في الإمام مصحف عثمان رحمته الله، في الحجر، وق «الأيكة»، وفي الشعراء، و ص «ليكة»، واجتمعت مصاحف الأمصار كلها بعد ذلك ولم تختلف، وفي الكشف من قرأ بالنصب، وزعم أن «ليكة» بوزن ليله اسم بلد، فتوهم قاد إليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة هنا. وفي «ص» بغير ألف، وفي المصحف أشياء كتبت على خلاف الخط المصطلح عليه، وإنما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ الالفاظ، كما يكتب أصحاب النحو: الآن لأن، والأولى لولى، لبيان لفظ

المخفف وقد كتبت في سائر القرآن على الأصل، والقصة واحدة، على أن «ليكة» اسم لا يعرف انتهى. وتعقب بأنه دعوى من غير ثبت، وكفى ثبوتاً للمخالف ثبوت القراءة في السبعة وهي متواترة، كيف وقد انضم إليه ما سمعت عند بعض كتب التفسير. وإن لم تعول عليه، فما روى البخاري في صحيحه «الأيكة» و«ليكة» الغيطة، وهذا إن الأسماء المرتجلة لا منع منها، وفي البحر، إن كون مادة (ل ي ك) مفقودة في لسان العرب، كما تشبث به من أنكر هذه القراءة المتواترة إن صح لا يضر، وتكون الكلمة عجمية ومواد كلام العجم مخالفة في كثير منها مواد كلام العرب، فيكون قد اجتمع على منع صرفها العلمية والعجمة والتأنيث، وبالجملة إنكار الزمخشري صحة هذه القراءة يقرب من الردة والعياذ بالله تعالى وقد سبقه في ذلك المبرد، وابن قتيبة، والزجاج، والفارسي، والنحاس.

قلت: إنكاره لهذه القراءة المتواترة إنما كان بتأويل، وليست هذه القراءة مما أجمع على تواتره وقرءانيته، نعم لا يجوز إنكارها، ولكن ليس إنكارها كإنكار ما أجمع على تواتره.

وقال ابن عاشور: وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر «ليكة» بلام مفتوحة بعدها ياء تحتية ساكنة ممنوعاً من الصرف للعلمية والتأنيث، وقرأه الباقر «الأيكة» بحرف التعريف بعده همزة مفتوحة وبجر آخره على أنه تعريف عهد لأيكة معروفة، والأيكة: الشجر الملتف وهي الغيضة. واشتهرت بالأيكة فصارت علماً بالغلبة معروفاً باللام مثل العقبة ثم وقع فيه تغيير ليكون علماً شخصياً، فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على لام التعريف وتنوسي معنى التعريف باللام، وعن الزجاج جاء في التفسير أن اسم المدينة التي أرسل إليها شعيب كان ليكة، وعن أبي عبيد: وجدنا في بعض كتب التفسير أن ليكة اسم القرية والأيكة البلاد كلها كمكة وبكة. وهذا من التغيير لأجل التسمية كما سموا شمساً بضم الشين ليكون علماً وأصله الشمس علماً بالغلبة. والتغيير لأجل النقل إلى العلمية وارد بكثرة ذكره ابن جني في شرح مشكل الحماسة عند قول تأبط شراً:

إني لمهد من ثنائي فقاصد به لابن عم الصدق شمس بن مالك

وقال أبو حيان: وهذه قراءة متواترة لا يمكن الطعن فيها، ويقرب إنكارها من الردّة، والعياذ بالله. أما نافع، فقرأ على سبعين من التابعين، وهم عرب فصحاء، ثم هي قراءة أهل المدينة قاطبة، وأما بن كثير، فقرأ على سادة التابعين ممن كان بمكة، كمجاهد وغيره، وقد قرأ عليه إمام البصرة أبو عمرو بن العلاء، وسأله بعض العلماء، أقرأت على ابن كثير؟ قال نعم، ختمت على ابن كثير بعدما ختمت على مجاهد، وكان ابن كثير أعلم من مجاهد باللغة. قال أبو عمرو: ولم يكن بين القراءتين كبير يعني خلافاً. وأما ابن عامر، فهو إمام أهل الشام وهو عربي قح، قد سبق للحن، أخذ عن عثمان، وعن أبي الدرداء وغيرهما، فهذه أمصار ثلاثة اجتمعت على هذه القراءة الحرمان مكة والمدينة والشام، وأما كون هذه المادّة مفقودة في لسان العرب، فإن صح ذلك كانت الكلمة عجمية ومواد كلام العجم مخالفة في كثيرٍ موادّ كلام العرب، فيكون قد اجتمع على منع صرفها العلمية والعجمة والتأنيث.

فائدة: قال القرطبي: وأما ما حكاه أبو عبيد من أن «ليكة» هي اسم القرية التي كانوا فيها وأن «الأيكة» اسم البلد، فشيء لا يثبت ولا يعرف من قاله، فيثبت علمه، ولو عرف من قاله لكان فيه نظر، لأن أهل العلم جميعاً من أهل التفسير والعلم بكلام العرب على خلافه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾

[الشعراء: ١٨٧]

القراءات: «كسفاً» قرأ حفص بفتح السين، والباقون بإسكان السين.

التوجيه: قال ابن عاشور: والكسف بكسر الكاف وسكون السين في قراءة من عدا حفصاً القطعة من الشيء، وقال في الكشف هو جمع كسفة مثل قِطْع وسِدْر، والأول أظهر؛ قال تعالى ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾، وقرأ حفص «كسفاً»، بكسر

الكاف وفتح السين على أنه جمع كسف كما في قوله ﴿ أَوْ تُسْقَطُ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا ﴾.

قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ [الشُّعْرَاءُ: ١٩٣]

القرءات: قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص وأبو جعفر «نزل» بتخفيف الزاي «الروح» برفع الحاء «الأمين» برفع النون، وقرأ الباقر بتشديد الزاي ونصب الحاء والنون.

التوجيه: قرئ «نزل به الروح الأمين» بتخفيف الزاي، وقرئ «نزل به الروح الأمين» بتشديد الزاي، والقراءتان متكاملتان، فقراءة «نزل» تفيد أن جبريل لا ينزل إلا بأمر الله وإذنه لا من تلقاء نفسه كما قال تعالى ﴿ وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [يَسَّ: ٦٤]، ولكن قد يظن أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما ينزل مكرهاً أو كارهاً، فأفادت قراءة «نزل» بالتخفيف على أنه ينزل محباً مشتاقاً سعيداً برؤية رسولنا ﷺ وتبليغه وحي الله وأمره.

قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ [الشُّعْرَاءُ: ١٩٧]

القرءات: قرأ ابن عامر «تكن» بتاء التانيث و «آية» بالرفع، وقرأ الباقر «يكن» بياء التذكير و «آية»، بالنصب على أن كان ناقصة.

التوجيه: قال الزمخشري: وقرئ: يكن بالتذكير وآية بالنصب على أنها خبره و «أن يعلمه» هو الاسم وقرئ: «تكن»، بالتانيث وجعلت «آية» اسماً و «أن يعلمه» خبراً وليست كالأولى لوقوع النكرة اسماً والمعرفة خبراً، وقد خرج لها وجه آخر ليتخلص من ذلك، فقيل: في (تكن) ضمير القصة و «آية أن يعلمه» جملة واقعة موقع الخبر، ويجوز على هذا أن يكون ﴿ هُمْ آيَةٌ ﴾ [الشُّعْرَاءُ: ١٩٧]، هي جملة الشأن «وأن يعلمه» بدلاً عن آية، ويجوز مع نصب الآية تانيث «تكن» كقوله تعالى ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٢٣].

قَالَ الْعَالِي: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الشُّعْرَاءُ: ٢١٧]

الْقُرْءَات: قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر «فتوكل»، وقرأ الباقون «وتوكل».

التَّوْجِيه: قال ابن عاشور: وعطف الأمر بالتوكل بفاء التفریع في قراءة نافع وابن عامر وأبي جعفر، فيكون تفریعاً على ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشُّعْرَاءُ: ٢١٦] تنبيهاً على المبادرة بالعود من شر أولئك الأعداء وتنصيصة على اتصال التوكل بقوله ﴿إِنِّي بَرِيءٌ﴾، وقرأ الجمهور «وتوكل» بالواو وهو عطف على جواب الشرط، أي قل إنني برئ وتوكل، وعطفه على الجواب يقتضي تسببه على الشرط، كتسبب الجواب وهو يستلزم البدار به، فمآل القراءتين واحد وإن اختلف طريق انتزاعه.

قَالَ الْعَالِي: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشُّعْرَاءُ: ٢٢٤]

الْقُرْءَات: وقرأ نافع «يَتَّبِعُهُمُ»، وقرأ الباقون «يَتَّبِعُهُمُ».

التَّوْجِيه: قال في لسان العرب: تَبَعَ الشَّيْءُ تَبَعًا وَتَبَاعًا فِي الْأَفْعَالِ، وَتَبَعْتُ الشَّيْءَ تَبُوعًا: سِرْتُ فِي إِثْرِهِ، وَاتَّبَعَهُ قَفَاهُ وَتَطَلَّبَهُ، وَقَالَ سِيبَوَيْهٍ: تَتَّبَعَهُ اتِّبَاعًا لِأَنَّ تَتَّبَعْتُ فِي مَعْنَى اتَّبَعْتُ، وَتَبَعْتُ الْقَوْمَ تَبَعًا إِذَا مَشَيْتَ خَلْفَهُمْ أَوْ مَرُّوا بِكَ فَمَضَيْتَ مَعَهُمْ.

وقال الليث: تَبَعْتُ فَلَانًا وَاتَّبَعْتُهُ وَاتَّبَعْتُهُ سَوَاءً، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: اتَّبَعْتُ الْقَوْمَ إِذَا كَانُوا قَدْ سَبَقُواكَ فَلَحَقْتَهُمْ، وَاتَّبَعْتَهُمْ وَتَبَعْتَهُمْ إِذَا مَرُّوا بِكَ فَمَضَيْتَ.

